قصة آية

14

رُفِعَ عن أُمّتي الخطأُ والنسيانُ

بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدي مصطفى

طبع ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع



رُفِعَ عَنْ أُمَّتي الخطأُ والنسيانُ

قالَ (تعالى) :

﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ
بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ
وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٢٨٥
لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا
مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا
وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ
رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا
وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٨٦﴾

[البقرة ٢٨٥ ، ٢٨٦]

كانَ رَجُلانِ من الأَنْصارِ يجلسانِ في بَيْتِ أَحَدِهِما لِتلاوةِ القُرآنِ الْكريمِ ومُدارستهِ لِمعْرِفةِ

أَحْكَامِهِ وأَسْبابِ نُزُولِهِ ، فقالَ أَحَدُهُما للآخَرِ :

ـ هلْ قرأْتَ قَوْلَهُ (تعالى) :

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ قَدِيرٌ ٢٨٤ ﴾

فأَجابَهُ صاحِبُهُ بقَوْلِه :

ـ أَجَلْ يا أَخِي قَرأْتُها ، وإِنِّي أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَفْوَ والْعَافِيَةَ .

فقالَ :

ـ هذه واللَّه أَشَدُّ آيةٍ نَزَلَتْ علَيْنا وأَخْشَى أَلاَّ تُطِيقَها نُفُوسُنا .

فقالَ له صاحِبُهُ :

ـ نعمْ ، فَمَنْ مِنَّا لا تَدُورُ بِنَفْسِهِ الْخَواطِرُ والْهَوَاجِسُ الْمُحَرَّمَةُ فى كُلِّ وقْتٍ من اللَّيْلِ أَوِ النَّهارِ ؟

فعادَ يَسْأَلُهُ مَرَّةً أُخْرَى :

ـ ما رأيُكَ لو ذهبْنا لأبي بكرٍ وعُمَرَ ومُعاذ بنِ جَبلٍ وعبدِ الرَّحمنِ بنْ عوفٍ ، فهمْ أكْثرُ منَّا علْمًا وفقهًا فنعرضَ عليهمُ الأمْرَ ، فربَّما استطاعوا أنْ يُبيِّنوهُ لنا ؟

انْفرجتْ أساريرُ الرَّجُلِ وقالَ لصاحبهِ :

ـ نعْمَ الرَّأْيُ ، فاللَّهُ (تعالى) يقولُ :

﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾ ﴾ [النساء : ٨٣]

ونهضَ الرَّجُلانِ منْ مجلسهما واتَّجها على الْفورِ إلى أبي بكرٍ وعُمرَ ومُعاذٍ وعبْدِ الرَّحْمنِ ابنِ عوْفٍ .

وما إنْ عرضا ما دارَ بيْنهما مُنْذُ قليلٍ على هؤُلاءِ الصَّحابةِ ، حتى انْخرطَ الْجميعُ في بُكاءٍ

وراحَ كلٌّ منهمْ يقولُ في إِشْفَاقٍ :

- ومَنْ منَّا لا تُحَدِّثُه نفْسُه بِمَا لا يُحبّ ؟

وأعادَ الرَّجلان السَّؤالَ الذى أَلحَّ عليهما طُوالَ مَجْلسهما :

- هلْ نُؤَاخَذُ على هذه الْخطَراتِ الَّتى تَخْطُرُ بِعُقُولِنا ، ونحْنُ لمْ نَعْقِد الْعَزْمَ على ارْتِكاب الآثَامِ والْمَعَاصِى ؟

كانَ ظاهرُ الآيَة يُوحى بذَلكَ ، ولذلكَ صَمَتَ الصَّحَابَةُ حتَّى لا يَقُولُوا شَيْئًا بِغَيرِ علْمٍ ، وقَرَّرُوا أَنْ يذْهَبُوا إلى رسُولِ اللَّه ﷺ لكَى يُبيِّنَ لَهُمُ الأَمْرَ فَتَطْمئِنَّ نُفُوسُهُمْ ويزُولَ اضْطرابُهُمْ وقَلَقُهُمْ .

وحَثَّ الصَّحابَةُ الْخُطَى إِلَى رسُولِ اللَّه ﷺ ، والأَمَلُ يحْدُوهُمْ أَنْ يجِدوا عنْدَ رسولِ اللَّه ﷺ ما يُذْهِبُ مَخَاوفَهُمْ .

وجـاء أَبُوبكْرٍ الصّـدِّيق وعُـمَـرُ بْنُ الْخَطّاب وعَبْـدُ الرَّحْمن بن عَوْفٍ ومُعاذُ بْن جَبَلٍ ومـعهم الرَّجُـلان من الأَنْصـارِ إلى النَّبىِّ ﷺ . ولما رآهُم الرَّسُولُ ﷺ عرفَ أَنَّ هناك أَمْرًا مُهِمًّا هو الَّذى أتى بهؤلاءِ الصَّحابة فى هَذا الْوَقْتِ فأذن لَهُمْ بالْحديث .

فقالَ الصَّحابةُ :

ـ يا رسُولَ اللَّه ، كُلِّفْنا مِنَ الأَعْمالِ ما نُطيقُ : الصَّلاةُ والصِّيامُ و الْجهادُ والصَّدَقَةُ ، وقدْ أَنْزَلَ اللَّهُ عليكَ هذه الآيَةَ ولا نُطيقُهَا .

ثمَّ أَضافُوا قائلِينَ :

ـ واللَّه يا رَسُولَ اللَّه ، إنَّ أَحَـدَنا لَيُحَـدِّثُ نَفْسَهُ بما لا يُحِبُّ أَنْ يَثْبُتَ فى قَلْبِهِ ، وإنَّما هى خَواطِرُ وهَواجِسُ سرعَانَ مَا تَمْضى .

فقالَ لَهُمُ النَّبِىُّ ﷺ :

ـ هكَذا أُنْزِلَتْ .

فاشْتَدَّ الأَمْرُ على الصَّحابَةِ وسَالَتْ دُمُوعُهُمْ علَى خُدُودِهِمْ وقالوا فى تأَثُّرٍ :

ـ إِذنْ هَلكْنَا وكُلِّفْنَا من الْعَمَلِ ما لاَ نُطِيقُ يا رَسُولَ اللَّهِ .

نظَرَ الرَّسولُ ﷺ إلى صَحَابَتِهِ وقالَ مُعَاتِبًا :

ـ فلَعَلَّكُمْ تَقُولونَ كما قَالَتْ بَنُو إِسْرائيلَ لِمُوسَى : سَمِعْنَا وعَصَيْنَا ، قُولُوا : سَمِعْنَا وأَطَعْنَا .

وفى الْحالِ قالَ الصَّحابَةُ :

ـ سَمِعْنَا وأَطَعْنَا .

ثمَّ استَغْفَرُوا رَبَّهُمْ على ما قَدْ يكونُ بَدَرَ مِنْهُمْ وقالوا :

ـ غُفْرانكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ الْمَصيرُ .

وَرَجَعَ الصَّحَابَةُ إِلَى بُيُوتِهِمْ بَعْدَ لِقَائِهِمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجِلِينَ خَائِفِينَ ، يَحْسُبُونَ لِكُلِّ كَبِيرَةٍ وَصَغِيرَةٍ حِسَابَهَا ، حَتَّى لا يَقَعُوا فِي مُخَالَفَةٍ أَوْ إِثْمٍ وَإِنْ كَانَ مُجَرَّدَ خَاطِرَةٍ أَوْ هَاجِسٍ مِنَ الهَوَاجِسِ .

وَبَقِيَ الصَّحَابَةُ عَلَى هَذَا الْوَضْعِ عَامًا كَامِلاً ، حَتَّى اشْتَدَّ الأَمْرُ عَلَيْهِمْ ، وَبَعْدَ أَنْ اخْتَبَرَ اللَّهُ صِدْقَ إِيمَانِهِمْ وَاسْتِجَابَتَهُمْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ أَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْفَرَجَ وَالرَّاحَةَ ، فَقَالَ (تعالى) :

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا

مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

وأَقْبلَ الصَّحابةُ يُهنئُ بعضُهمْ بعضاً ، بعدَ نُزُولِ هذهِ الآيَةِ الْكريمةِ ، حيْثُ استْجابَ اللّه لدُعائِهِمْ وعَلِمَ أنَّ فيهِمْ ضَعفًا فَخَفَّفَ عنهُمْ وعَفَا عنْهُمْ .

وقالَ النبيُّ ﷺ :

« إِنَّ اللَّه قدْ تجاوزَ لأُمَّتى ماَ حدَّثُوا بهِ أنْفُسَهُمْ مَا لَمْ يعْمَلوا أوْ يتكَلَّموا به » .

ويُرْوَى أنَّ الرَّسولَ ﷺ عنْدَما كانَ فى الْمعْراجِ سأَلهُ ربُّهُ عنْ أُمَّتِه وكيْفَ كانَ قبُولُهُمْ

لِلآىِ التى أَنْزَلَها ، ومنْها قوْلُهُ (تعالى) :

﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾

فقالَ رسولُ اللَّه ﷺ :

ـ قَالوا : ﴿ سمِعْنا وأَطَعْنا غُفْرانَكَ رَبَّنَا وإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾

فقالَ اللَّهُ (تعالى) عِنْدَ ذلكَ :

﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾

فقالَ جِبْرِيلُ عليه السلام عِنْدَ ذلكَ لِلنَّبِى ﷺ :

ـ سَلْ تُعْطَهْ .

فقالَ النَّبىُّ ﷺ :

ـ ﴿ رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾

فقَالَ لهُ جِبْرِيلُ عليه السلام :

قدْ أُعْطيت ذلك ، قدْ رُفع عنْ أُمَتِكَ الْخطأُ والنِّسْيانُ .

ثم قالَ له :

ـ فسلْ شيْئا آخر يا مُحمّدُ .

فقالَ الرَسولُ ﷺ :

ـ ﴿ رَبَّنَا ولاَ تحْملْ عليْنَا إصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلى الَّذِينَ من قَبْلِنا ، رَبَّنَا ولاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طاقَةَ لَنَا بِهِ واعْفُ عنَّا واغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلاَنَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ .

واسْتَجابَ اللّهُ لدعاءِ نبيِّه حيْثُ خَفَّفَ عنْ أُمَّتِه وعَفَا عَنْها .

هذه الآيةُ الكريمةُ تَفْتحُ أمامَ الْمُسْلمينَ طاقَةً من النُّورِ والأَمَلِ ، فاللَّهُ (تعالى) رَفَعَ عَنْ أُمَّةِ مُحمدٍ ﷺ الْخطأ والنِّسْيانَ وما اسْتُكْرِهُوا عَلَيْه .

فالْمُسْلمُ لا يُؤاخَذُ على خطئِه طالَما اعْترفَ بِه وتَخَلَّى عنْهُ وهَجَرَهُ ، لأَنَّ كلَّ بَني آدَمَ خطَّاءٌ وخَيْرُ الْخطَّائين التَّوَّابُون .

كما أَنّ الآيَةَ تُبَيِّنُ جزاء الطَّاعَةِ والتَّسْليمِ لأَمْرِ اللَّهِ (تعالى) ، فالْمُسْلمُ حِينما يَسَلِّمُ أَمْرَهُ للَّه ويُطيعُهُ ويُذْعنُ لهُ يُكافِئُهُ اللَّهُ (تعالى) في الحال فيَسْتَجيبُ لهُ ويُخَفِّفُ عَنْه .

قالَ السَّادَةُ الْعُلماءُ :

ـ عنْدَما قالَ الْمُسلمونَ : سمِعْنا وَأَطَعْنا ، مَدَحَهُمُ اللَّهُ وأَثْنَى عليْهِمْ فى هذهِ الآيَةِ ورفعَ الْمَشقَّةَ فى أَمْرِ الْخَواطِرِ عَنْهُمْ ، وهذهِ ثَمَرَةُ الطَّاعَةِ والانْقِطَاعِ إلى اللَّه (تعالَى) .

ويُوَضِّحُ السَّادَةُ الْعُلَمَاءُ أَنَّ ما جَرَى لِبَنِى إسْرائيلَ كَانَ عكْسَ ذَلِكَ لأَنَّهُمْ قَالوا لمُوسَى عليه السلام سَمِعْنَا وعَصَيْنَا ، ولذلكَ ذَمَّهُمُ اللَّهُ وحَمَّلَهُمُ الْمَشَقَّاتِ وضَرَبَ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةَ والْمَسْكَنَةَ وبَاءُوا بِغَضَبٍ منَ اللَّه ، وهذهِ ثمرةُ الْعِصْيانِ والتَّمَرُّدِ على اللَّه أعاذَنَا اللَّهُ منْ ذلكَ .

وفى الْحديثِ الشَّريفَ أنَّ الصَّحابَةَ قالوا لِرسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم :

ـ إنَّ بَيْتَ ثَابِتَ بنِ قَيْسٍ يزهِرُ كُلَّ لَيْلَةٍ بِمصَابِيح .

فقالَ ﷺ :

فلعلَّهُ يقرأُ سُورَةَ الْبَقَرَة .

فسأَلَ الصَّحابةُ ثَابِتَ بنَ قَيْسٍ عنْ ذلكَ فقالَ :

ـ قرأْتُ من سُورَةِ الْبَقَرَةِ « آمَنَ الرَّسُولُ . . . » .

وفى الْخَبَرَ رُوِىَ أَنَّ اللَّه (تعالَى) يقولُ يومَ الْقِيامةِ :

ـ « هَذا يَوْمٌ تُبْلَى فِيهِ السَّرَائِرُ وتُخْرَجُ الضَّمَائِرُ ، وأَنَّ كُتَّابِى لَمْ يكْتُبوا إلاَّ ما ظَهرَ منْ أَعْمالِكُمْ ، وأَنا الْمُطَّلِعُ على ما لَمْ

يَطَّلِعُوا عَلَيْه ولَمْ يُخْبِرُوهُ ولا كَتَبُوهُ فأَنا أُخْبِرُكُمْ بذلك وأُحاسِبُكُمْ علَيْه ، فأَغْفِرُ لِمَنْ أَشَاءُ وأُعَذِّبُ مَنْ أَشَاءُ » .

فَيغْفِرُ اللَّهُ (تعالَى) لِلْمُؤْمنين ويَعذِّبُ الْكَافِرِينَ .

وإذا كانَ الصَّحابةُ قدْ فَرِحُوا بِنُزُولِ هذه الآيةِ ، حتَّى كَانُوا يُهَنِّئُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بها ، فإنَّنا أَحْوجُ ما نكُونُ إلَيْها ، ونَحْنُ أَحْوَجُ ما نَكُونُ إلى ما اشْتَمَلَتْ عليْه مِنْ مَعَانٍ وأَحْكامٍ وتَخْفِيفٍ عَنِ الْمُسْلمينَ . لأَنَّ الزَّمانَ الذى نَعيشُهُ زمانٌ مَلِيءٌ بالْفِتَنِ ،



وِلذلكَ فـهـذهِ الآيةُ الْكَرِيمَةُ تَفْتَحُ أَمَامَنَا طاقَـاتٍ من الأَمَلِ والرَّجَاء فى عَفْوِ اللَّهِ وتجاوُزِهِ عَنْ أَخْطَائِنَا وهَفَوَاتِنا .

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٣٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧